

جامعة إفريقيا العالمية

مركز البحوث والترجمة



المحرران

د. عبدالرحيم على محمد

عبدالقيوم عبدالخليم الحسن

إصدار رقم ١٤

ندوة

التعليم

الإسلامي

في

إفريقيا

١٢ - ١٥ رجب

١٤٠٨ هـ

الموافق

٢٩/٢ - ٣/٣/١٩٨٨ م

قاعة الصداقة - الخرطوم

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم

ندوة التعليم الإسلامى فى إفريقيا

١٢ - ١٥ رجب ١٤٠٨ هـ الموافق ٢٩/٢ - ٣/٣/١٩٨٨ م

قاعة الصداقة - الخرطوم

المحرران

د. عبد الرحيم على محمد
عبد القيوم عبد العليم الحسن

جامعة إفريقيا العالمية
مركز البحوث والترجمة

اصدارة رقم ١٤

الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر
بالضرورة عن اتجاهات تتبناها
جامعة إفريقيا العالمية

١٤١٢هـ / ١٩٩٢م

المحتويات

الصفحات

- كلمة التحرير د
- المشاركون في الندوة هـ
- برنامج الندوة ح

المحور الأول : إفريقيا عام

- مشكلات التعليم الإسلامى فى إفريقيا
- الأستاذ/ عبدالرحمن أحمد عثمان ١
- أزمة التعليم الإسلامى فى إفريقيا بين الأمس واليوم ومحاولة لايجاد طرق لتطويره
- السيد/ كوني عبدالرحمن كونادى ٤٣
- التربية الإسلامية فى إفريقيا
- الأستاذ/ عبدالوهاب دوكرى ٧١
- التعليم وقضايانا المصرية فى إفريقيا
- الدكتور/ محمد عبده يمانى ٧٤
- تقييم عينات من مناهج التعليم العربى الإسلامى الثانوى فى إفريقيا
(بأداة تقييمية مقترحة)
- الأستاذ/ أحمد شيخ عبدالسلام ٨٧
- المشاكل والمعوقات التى تعترض التربية الإسلامية فى إفريقيا
- السيد/ محمد سعيد كمارا ١١٠
- مشروع تطوير التعليم الإسلامى فى إفريقيا
- الدكتور/ يوسف الخليفة أبوبكر ١٢٠

المحور الثاني : غرب إفريقيا

الصفحات

- تدریس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في المدارس الابتدائية والثانوية في شمال نيجيريا
الدكتور/ فاروق امام محمد
- ترجمة وتلخيص الأستاذ/ محيي الدين جبرة
التعليم الإسلامي العربي للنساء في نيجيريا
السيدة/ عائشة ليمو
- ترجمة الأستاذ/ عبداللطيف سعيد
التعليم الإسلامي في السنغال : نشأته - مؤسساته - قضاياها
السيد/ عطا المنان بخيت الحاج
- التعليم العربي والعلوم الإسلامية في المدارس التقليدية «جمهورية مالي»
السيد/ كادي درامي
- شباب اليوريا المسلم والتعليم الذي تدعّمه المسيحية
الدكتور/ داؤود. نويبي
- ترجمة وتلخيص الأستاذ/ عبداللطيف سعيد
معوقات التعليم الإسلامي في سيراليون
السيد/ محمد أحمد بري
- نظام التعليم العربي الإسلامي في غامبيا
السيد/ معاذ جاه

المحور الثالث: وسط إفريقيا

- خلفيات وآفاق التعليم الإسلامي في الجابون وفي دول إفريقيا الوسطى
السيد/ يعقوب ولد داداه
- نبذة عن التعليم الإسلامي في الجامعات والمعاهد العليا في جمهورية تشاد
السيد/ اسحق هارون والسيد/ عثمان محمد الأمين
- وضع اللغة العربية والمواد الإسلامية في الكمرون
السيد/ محمد سعودى عثمان

المحور الرابع : شرق إفريقيا

الصفحات

- التجربة اليوغندية في انشاء وإدارة معاهد التعليم الإسلامى الأهلئ الأستاذ/ الحاج جمادى لوزندا
- ٢١٢ ترجمة الأستاذ/ عبداللطيف سعيد محمد
- التعليم الإسلامى والعربى فى جمهورية جيبوتى السيد/ مبارك أحمد حمد
- ٢٢٥ التعليم الإسلامى العربى فى جمهورية الصومال الديمقراطىة السيد/ مبارك أحمد حمد
- ٢٣٢ الخلوة ونشاطها فى اثيوبيا قديماً وحديثاً
- السيد/ عبده الحاج
- ٢٥٠ مدخل إلى تعليم اللغة العربىة فى شرق إفريقيا بالتركيز على زنزبار
- الأستاذ/ عزالدين الشيخ عثمان
- ٢٦٣ النظام التعليمى الإسلامى فى اريتريا وتجرىة جهاز التعليم الاريترى فى السودان
- السيد/ محمود صالح سبى
- ٢٦٩ النظام التعليمى فى أروميا
- السيد/ محمد حسين محمد
- ٢٧٧

البيان الختامى والتوصيات

- البيان الختامى
- ٢٨٣
- التوصيات
- ٢٨٦

كلمة التحريير

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

جاءت فكرة عقد ندوة التعليم الإسلامى فى إفريقيا إثر ندوة بذات العنوان، عقدت ضمن أسبوع الدعوة الثالث سنة ١٤٠٧هـ، وتحدث فيها كل من الدكتور/ عبدالرحيم على محمد نائب المدير للشئون الثقافية والتعليمية، والأستاذين أحمد عمر عبيدالله، وأحمد محبوب حاج نور . ثم رأى أن توسع الفكرة لتكون مؤتمراً أكبر يحضره العلماء والباحثون وذوو الاهتمام من العاملين العربى والإفريقي

ولعل المركز آنذاك كان ينتظر هذه السانحة وهو يقف على ملاحظات تقارير وفوده لاختيار الطلاب من الدول الإفريقية، تلك الملاحظات التى تعكس أوضاع المدارس الإسلامية فى إفريقيا وظروف تلاميذها ومعلميها، إضافة إلى ما أفرزته تجربة عشر سنوات فى تدريس طلاب أفارقة فى مختلف مجالات الدراسة بالمركز، فضلاً عن المعلومات المتوفرة نتيجة المسح الذى أجرته لجنة تنسيق للعمل الإسلامى فى إفريقيا والتي تضم إلى جانب المركز بعض المؤسسات العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية فى إفريقيا.

وبالفعل فقد عقدت الندوة بقاعة الصداقة بالخرطوم فى الفترة من ١٢ - ١٥ رجب ١٤٠٨هـ الموافق ٢٩/٢ - ٣/٣/١٩٨٨م، وقد شارك فيها عدد كبير من العاملين والمهتمين بمجال التعليم فى إفريقيا، كما قدمت فيها أربع وعشرون ورقة، هذا وتعميماً للفائدة فقد رأت إدارة جامعة إفريقيا العالمية نشر تلك الأوراق فى مجلد واحد ليسهل تداوله .

وتود هيئة التحرير أن تنوه إلى أن مقدمات الأوراق وخواتمها وكلمات الشكر والتقدير وما ياتئها قد تم حذفها منعاً للتكرار واختصاراً فى الوقت والتكلفة، كما وقد أدخل القلم فى مواقع محدودة لمعالجة الأخطاء الطباعية فى الأصول وبصورة لم تؤثر على جوهر النص المكتوب كما أن بعض الأوراق قد نُشرت ترجماتها العربية ولم ينشر نصّها .

هذا ولفائدة القارىء الكريم بوجه عام، والمختص بشئون التعليم الإسلامى فى إفريقيا على وجه الخصوص فقد اعتمد التويب للأوراق على أساس التقسيم الإقليمى للقارة الإفريقية، كما تم ترتيب الأوراق ألفبائياً وفقاً لعناوينها داخل كل قسم ما عدا الورقة التى تقدم بها المركز فقد تصدرت أوراق المحور الأول لطرحها لأبعاد المشكلة بصفة عامة .

وتشير هيئة التحرير إلى أن ماورد فى هذه الأوراق لايمثل بالضرورة رأى جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم فالورقة رأى صاحبها واجتهاده ومستوليته .

وختاماً نتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الذين قاموا بترجمة الأوراق التى قدمت بلغة غير العربية

وهم :-

عفى الدين جيرة وعبداللطيف سعيد . . وكذلك الشكر للأساتذة الذين قاموا بالتصحيح من قسـ

اللغة العربية بشعبة التعليم وهم وداعة محمد الحسن، وحسن سيداحمد الناطق، وتاج السر بشير .

والشكر فى الختام لكل من ساهم فى إخراج هذا العمل سائلين الله عز وجل أن نعم به الفائدة

وينصلح به الخلال إنه سميع مجيب .

المحرران

بسم الله الرحمن الرحيم

المشاركون فى الندوة

المشرفون

مدير المركز الإسلامى الإفريقى
نائب المدير للشئون المالية والإدارية
نائب المدير للشئون التعليمية والثقافية
(رئيس اللجنة العليا للندوة)

الدكتور: ابراهيم بن محمد أبو عباة
الاستاذ: محبوب محمد الحسين
الدكتور: عبد الرحيم على محمد

■ أعضاء اللجنة العليا للندوة:

الاستاذ بجامعة الخرطوم «مدير المركز السابق»
الاستاذ بجامعة الخرطوم
الاستاذ بمعهد الخرطوم الدولى
عميد كليتى التربية والدراسات الإسلامية بالمركز
رئيس شعبة الدعوة
رئيس شعبة التعليم
رئيس شعبة البحوث
نائب رئيس شعبة التعليم
المدير الإدارى للكليات
شعبة البحوث والنشر
شعبة الدعوة
قسم الامتحانات والقبول
شعبة الدعوة (مقرر اللجنة العليا)

الدكتور الطيب زين العابدين
بروفسير/ مدثر عبد الرحيم الطيب
د/ يوسف الخليفة أبوبكر
بروفسير/ مالك بابكر بدرى
الاستاذ/ محمد عثمان أحمد إسماعيل
الاستاذ/ عبد الله على الصافى
الاستاذ/ محمد الخير عبد القادر
الاستاذ/ أحمد عمر عبيد الله
الاستاذ/ بابكر قدرمارى
الاستاذ/ أحمد على سبيل
الاستاذ/ عبد الله عمر محمد
الاستاذ/ مضوى موسى عبد الرحمن
الاستاذ/ كمال محمد عبيد

●● ممثلو الهيئات والمؤسسات :

- (١) د/ محمد عبده يمانى «شارك ببحث» رئيس جمعية إقرأ الخيرية - السعودية
 (٢) د/ محيى الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
 (٣) الشيخ / يوسف جاسم الحجى رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية
 (٤) د/ كايد عبد الحق نائب مدير بنك التنمية الإسلامى
 (٥) د/ طلال بافقيه رئيس مجمع الفقه الإسلامى لرابطة العالم الإسلامى - مكة المكرمة
 (٦) د/ محمود رشدان مدير التعليم الإسلامى بمعهد الفكر الإسلامى
 (٧) السيد/ محمد أختراو مدير مكتب المؤسسة الإسلامية بنىروبي
 (٨) الشيخ / سعد الطالب لجنة مسلمى إفريقيا - الجنوب الإفريقى
 (٩) الاستاذ/ إبراهيم ملازى الجمعية الإسلامية فى ملاوى
 (١٠) الاستاذ/ دودونقو لوانقا إسناجيل المجلس الأعلى للمسلمين يوغندا
 (١١) الأستاذ/ جمادى لوزندا «شارك ببحث» المجلس الأعلى للمسلمين يوغندا
 (١٢) الاستاذ/ عبد القادر عبد الرحمن الجمعية الإسلامية فى ملاوى

●● المشاركون ببحوث :

- (١٣) د/ داؤد شيتونايبى رئيس قسم الدوة العربية بجامعة أبادان
 (١٤) الدكتور/ فاروق إمام محمد أستاذ جامعى بنيجيريا
 (١٥) الدكتور/ يوسف الحيينة أبو بكر معهد الخرطوم الدولى للغة العربية
 (١٦) السيد/ عبد الوهاب دوكرى مدير مكتب رابطة العالم الإسلامى بالسنگال
 (١٧) السيد/ إسحاق هرون مدير الشؤون الدينية - وزارة الداخلية بتشاد
 (١٨) السيد/ كونى عبد الرحمن من ساحل العاج - يعمل بوزارة الأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة
 (١٩) السيد/ كادى درامى الأمين العام لجمعية مالى للاتحاد وتقدم الإسلام
 بهالى
 (٢٠) السيد/ يعقوب ولد داده ممثل رابطة العالم الإسلامى - الجابون
 (٢١) السيد/ معاذ جاه مدير المدرسة الإسلامية ببانجول - غامبيا
 (٢٢) السيد/ عثمان محمد الأمين مدير مركز الملك فيصل - انجمينا - تشاد

- ٢٣) السيد / محمد سعيد كمارا مدير الشؤون الدينية - غينيا
 ٢٤) السيدة / عائشة ليمو مؤسسة الوقف الإسلامى بنيجيريا
 «قدم البحث نيابة عنها السيد عثمان أبوبكر»
 ٢٥) السيد / عطا المنان بخيت الحاج ممثل الوكالة الإسلامية للإغاثة - السنغال
 ٢٦) السيد / مبارك أحمد حمد ممثل الوكالة الإسلامية للإغاثة - الصومال
 ٢٧) الأستاذ / أحمد شيخ عبد السلام المركز الإسلامى الإفريقى
 ٢٨) الأستاذ / عبدالرحمن أحمد عثمان المركز الإسلامى الإفريقى فى الخرطوم

وقد حضر خصيصاً للندوة من خارج السودان :

- ٢٩) السيد / محمود صالح سبى الجهاز التعليمى الارترى
 ٣٠) محمد سعودى عثمان خريج المركز الإسلامى الإفريقى - الخرطوم طالب ماجستير بمعهد الخرطوم الدولى
 ٣١) السيد / محمد أحمد برى (سيراليون) خريج من جامعة أم درمان الإسلامية
 ٣٢) محمد حسين محمد الجهاز التعليمى لمنظمة مسلمى ارومو بالسودان
 ٣٣) الأستاذ / عز الدين الشيخ عثمان* معلم لغة عربية سابق بزنزبار
 ٣٤) عبده الحاج الجبرتى
 ٣٥) السيد / عمر محمد يسن ممثل رابطة العلم الإسلامى - اثيوبيا
 ٣٦) د / الطيب زين العابدين جامعة الخرطوم
 ٣٧) السيد مبارك آدم الهادى سفير جمهورية السودان - نيجيريا
 ٣٨) السيد / عادل خليل جمعية إقرأ الخيرية - السعودية

كما اشترك فى الندوة من داخل السودان أكثر من مائة من العلماء والمفكرين والمهتمين بشئون التعليم الإسلامى والمختصين فى مجال التربية من الجامعات والمعاهد العليا والوزارات والهيئات والمؤسسات الإسلامية .

* ٣٣ - ٣٤ وزعت أوراقهم على المشاركين ولم تناقش .

برنامج الندوة

الاثنين « ١٢ رجب / ٢٩ فبراير »

« ٩:٠٠ - ١٠:٠٠ صباحاً »

الجلسة الافتتاحية :

القرآن الكريم - تلاوة الطالب موسى الحاج أبا
كلمة السيد مدير المركز الإسلامي الإفريقي في الخرطوم
كلمة السيد الصادق المهدي رئيس مجلس الوزراء

« ١٠:٣٠ - ١١:٣٠ صباحاً »

محاضرة العربية في إفريقيا

بروفسير عبد الله الطيب

« ١١:٣٠ - ١:٣٠ ظهراً »

زيارة المركز الإسلامي الإفريقي في الخرطوم

« ٦:٣٠ - ٨:٣٠ مساءً »

جلسة العمل الأولى :

رئيس الجلسة الشيخ يوسف جاسم الحجى
الورقة الأولى : مشكلات التعليم الإسلامى فى إفريقيا !

«إعداد عبد الرحمن أحمد عثمان وآخرين»

الورقة الثانية : أزمة التعليم الإسلامى فى إفريقيا

«إعداد كونى عبد الرحمن الحاج»

الورقة الثالثة : التربية الإسلامية فى إفريقيا

«إعداد عبد الوهاب دوكرى»

الثلاثاء « ١٣ رجب / ١ مارس »

« ٩:٠٠ - ١١:٠٠ صباحاً »

جلسة العمل الثانية :

رئيس الجلسة : عبد الوهاب دوكرى

الورقة الرابعة : شباب قبيلة اليوربا والتمويل الكنسى للتعليم

«إعداد شيت نايبى»

الورقة الخامسة: تدريس العربية والتربية الإسلامية في المرحلتين الابتدائية والثانوية في
شمال نيجيريا

«إعداد فاروق إمام»

الورقة السادسة: تقويم عينات من مناهج التعليم الإسلامى
«إعداد أحمد شيخ عبد السلام»

جلسة العمل الثالثة: ١١:٣٠ - ١:٣٠ ظهراً

رئيس الجلسة: كادى درامى

الورقة السابعة: ضرورة التدريب المهنى للدعاة

«إعداد د. محمد عبده يمانى»

الورقة الثامنة: تجربة جهاز التعليم فى إرتيريا

«إعداد محمود صالح سبى»

الورقة التاسعة: اللغة العربية والعلوم الإسلامية فى الكاميرون

«إعداد محمد سعودى عثمان»

جلسة العمل الرابعة: ٦:٣٠ - ٨:٣٠ مساءً

رئيس الجلسة: د/محمى الدين صابر

الورقة العاشرة: التعليم الإسلامى فى الصومال وجيبوتى

«إعداد مبارك أحمد حمد»

الورقة الحادية عشرة: مشروع تطوير التعليم الإسلامى فى إفريقيا

«إعداد د. يوسف الخليفة أبوبكر»

الورقة الثانية عشرة: التعليم الإسلامى فى غامبيا.

«إعداد معاذ جاه»

الأربعاء (١٤ رجب / ٢ مارس)

«٩:٠٠ - ١١:٠٠ صباحاً»

جلسة العمل الخامسة:

رئيس الجلسة: د. شيت نايبى

الورقة الثالثة عشرة: التعليم الإسلامى فى السنغال

«إعداد عطا المنان بخيت الحاج»

الورقة الرابعة عشرة: التعليم الإسلامى فى مالى

«إعداد كادى درامى»

الورقة الخامسة عشرة: التعليم الإسلامى فى أوروميا

«إعداد محمد حسين محمد»

الورقة السادسة عشرة: تعليم المرأة المسلمة فى نيجيريا

«إعداد الحاجة عائشة ليمو: تقديم عثمان أبوبكر»

زيارات الوفود للجامعات - الإسلامية وجامعة الخرطوم وكلية القرآن الكريم ومنظمة

الدعوة الإسلامية والوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة (١١:٣٠ - ١:٣٠) ظهراً

«٦:٣٠ - ٨:٣٠ مساءً»

جلسة العمل السادسة:

رئيس الجلسة: الشيخ محمد أختراو

الورقة السابعة عشرة: مشاكل ومعوقات التعليم الإسلامى

«إعداد محمد سعيد كهارا»

الورقة الثامنة عشرة: التعليم الإسلامى فى الغابون

«إعداد يعقوب ولد داده»

الورقة التاسعة عشرة: التعليم الإسلامى فى تشاد

«إعداد عثمان محمد الأمين»

الورقة العشرون: ملامح من التعليم النبوى

«إعداد الشيخ محمد هاشم الهدية»

الخميس (١٥ رجب / ٣ مارس)

جلسة العمل السابعة: (٩:٠٠ - ١١:٠٠ صباحاً)

رئيس الجلسة: د. الطيب زين العابدين
الورقة الحادية والعشرون: مشروعات لتطوير التعليم الإسلامى فى إفريقيا

«إعداد المركز الإسلامى الإفريقى»
الورقة الثانية والعشرون: كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربى ورقة غير مكتوبة
«إعداد د. يوسف الخليفة أبوبكر»

الجلسة الختامية: (١١:٣٠ - ١:٣٠ ظهراً)

رئيس الجلسة: د. إبراهيم بن محمد أبوعبادة
كلمات ممثل الوفود المشاركة من خارج السودان
د. محى الدين صابر
د. شيت نايبى
تلاوة التوصيات: الأستاذ وداعة محمد الحسن عكود

زيارة معهد الخرطوم الدولى للغة العربية (١:٣٠ - ٢:٠٠ ظهراً)

المحور الأول

إفريقيا عام

التعليم وقضايانا المصرية فى إفريقيا

الدكتور / محمد عبده يمانى

أما أن التعليم هو استثمار فهذا ما لا يختلف فيه اثنان اليوم . . . وأما أنه أساس أى نهضة فهذا من المعلوم بالضرورة، وأما أن أى اختلال فى التعليم، أو تدهور فى حركته، يؤدى إلى عرقلة حركة التنمية، وبالتالي يتسبب فى كوارث اقتصادية، وربما انحرافات أخلاقية، فهذا ما يعيه كافة المعنيين كل الوعى، ويدركونه غاية الإدراك. إذا كان ذلك كذلك، فلماذا نحن متأخرون فى إفريقيا وفى كافة البلدان التى يسمونها نامية، ويعنون بها متخلفة؟

لاشك أن هناك أقطارا فى إفريقيا قطعت أشواطاً بعيدة فى التعليم، وأقطارا أخرى كثيرة خطت خطوات لا بأس بها، ولكنها كلها مازالت متخلفة عن الغرب حضارياً، ومعتمدة عليه إلى درجات متفاوتة، مادياً، رغم ما وصلت إليه من مستويات فى مجالات التعليم والمعرفة.

ما هو السر فى تخلفنا، وما هو السر فى تقدمهم إذا كان التعليم قاسماً مشتركاً بيننا وبينهم؟

السر يكمن فى اختلاف الغاية من التعليم بيننا وبينهم.

الغاية من التعليم عندنا هى الحصول على شهادة تكون لحاملها جواز مرور لإحدى الوظائف الحكومية . . .

والغاية من التعليم عندهم هى تجنيد الطاقات البشرية، فيما يضمن للمتعلم الحياة السعيدة، وللمجتمع إثراء ورافده التنمية واستثمار مرافقه الاقتصادية، مع مواكبة التقدم الإنسانى، حضارياً وعلمياً. ولذلك افترقنا عنهم منذ البداية.

عمدوا هم إلى «المربى» واكتفينا نحن فى الجملة بالمدرس، وفرق كبير بين المدرس، والمربى، المدرس ناقل للمعلومات، والمربى يتعامل - حين ينقل المعلومات - مع الملكات، المدرس يهتم بما يحقق للطالب المجد النجاح فى الامتحان، والمربى يهتم بما

يحقق للطالب النجاح في الحياة، المدرس يركز على أن يكون تلميذه قادرا على أن يؤدي دوره الشبيه بالميكانيكي في الجهاز الوظيفي، والمربي يركز على أن يكون تلميذه قادرا على أداء دوره الخلاق النشط في عملية التطبيع الاجتماعي بجميع جوانبها.

إن مشكلتنا الحقيقية والأساسية هي «المدرس» ففي دراسة تربوية سئل عدد من التلاميذ «عمن علمهم وأثر فيهم أكثر لكي يكونوا مواطنين صالحين، فبيّنت النتائج التي توصل إليها «دافيد إيفانز» David Evans أن التأكيد الأكبر كان على «المدرس» - المربي - كأهم سبب وأعظم مصدر لهذا التكوين (١) ولا غرو في ذلك فقد قال «ليبتز Liptz» «اعطوني التربية أغريوجه أوربا قبل انقضاء قرن واحد» (٢) ولقد قام كل من «كاركوف Karkhof» و«بيرنسون Berenson» بدراسات أثبتت أن الأساتذة الذين يقومون بمهمتهم على مستوى عال من الفاعلية قد ساعدوا على التحصيل الدراسي في العام الدراسي الواحد، بيا يساوي أكثر من ضعف ما يحصله التلاميذ من أساتذة أقل فاعلية، في نفس الفترة.

نحن من غير شك نفقد الأستاذ المربي .

يجب ألا نلقى بالتبعة في ذلك على ظروف التوسع التعليمي والانفجار السكاني، مما يضيّق فرص الاختيار للمدرس الصالح، أو المربي، ويجعلنا نوظف للتدريس كل من هب ودب، في أكثر الحالات .

فإذا كانت هنالك ظروف تضيق علينا فرص الخيار في هذا المجال، فإننا بدورنا خلقنا ظروفًا أخرى، تجعل أكثر من كان يمكن أن نستفيد منهم في مجال التعليم يفلتون من أيدينا ليمثلوا وظائف أخرى، أوفر عرضا، وأرقى منزلة، بحكم المعايير التي استحدثناها دون جدوى ولا أساس . . . وبذلك زدنا الطين بلة، بدلا من أن نحصن في الأحوال، ولو بعض الشيء انظر إلى البلاد التي كان يمكن أن نسبقها، وقد سبقتنا، انظر إلى اليابان، مثلا، وانظر إلى مكانة «المعلم» فيها - يقول الدكتور محمد جابر الأنصاري: «تعتبر مهنة التدريس في اليابان من المهن المربحة اقتصاديا حتى بالقياس لأعمال القطاع الخاص، وبين خمسة يابانيين يتقدمون لمهنة التدريس لدى الدولة يفوز واحد منهم فقط بشرف المهنة وامتيازاتها المعيشية، مما أدى إلى الحفاظ على مستوى نوعي متفوق للمعلم الياباني، أدى بدوره إلى تنمية نوعية العملية التربوية بأسرها، على أساس من الدور القيادي للمدرس في هذه العملية، باتفاق جميع المدارس التربوية» . (٤).

هذا في اليابان . أما في بلادنا، إفريقيا وغيرها، فقلما يتقدم الطالب لمهنة التدريس إلا إذا أغلقت كافة الأبواب الأخرى، بحيث أصبح التدريس حرفة من لا حرفة له، ويعبر عن خطورة هذا الوضع جيلبرت دي لاندشير بقوله: «بينما يفقد الصانع الهزيل زبائنه ويطرد السائق غير الماهر، فإنه في معظم بلاد العالم يعين المدرس في الغالب لمدى الحياة، بدون تأسيس دقيق لقدراته الفعلية» ويقول أيضا في سخرية واضحة: «ألا يتعرض

سائقو السيارات، في أماكن كثيرة، إلى إجراءات للاختيار أكثر صرامة من إجراءات اختيار المعلمين؟ ومع ذلك فبينما الأولون يمكن بكل تأكيد أن يعرضوا حياة بعض عشرات من الركاب للخطر، يمكن للآخرين أن يقفوا عقبة في نمو عقول آلاف من الأطفال» (٥).

يجب علينا إذن، أن نغيّر من سياستنا هذه، ونضع مهنة التدريس في الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي يجلب لها الصفوة من أبنائنا، نعدم الإعداد التربوي اللازم، لإعداد الجيل الذي تتطلع إليه الأمة ليستشله من هذه الوهدة. وكما اهتموا هم بالمربي، واقتصرنا نحن على مجرد «المدرس» في الغالب كذلك نظرنا نحن إلى «الكم» حين ركزوا هم على «الكيف».

أخذنا نحن بالتعليم النظري، كقاعدة عامة. وهم جمعوا بين التعليم النظري والتطبيقي، بين التعليم العام، وبين التعليم المهني، انبهرنا نحن ببهرج العلوم النظرية الغربية من فلسفات، وحقوق وإنسانيات وجمعوا هم إلى ذلك تأسيس القواعد العلمية التقنية الصناعية بحيث لا يطغى جانب على آخر طغيانا يؤثر في مسيرة البلاد نحو التنمية المتكاملة، والتقدم، والإسهام في الروافد الإنسانية المشتركة بين الأمم والأجيال المتلاحقة.

فإذا جنينا نحن من كل ذلك، آلاف مؤلفة من الطلبة يتخرجون من الثانويات والجامعات، لا يجدون - رغم شهاداتهم - ما يقتاتون به، لأن الوظائف المتوافرة للدولة كلها قد امتلأت بمن سبقهم. . . وإذا أوجدت الدولة بعض وظائف فإنها لا تغني شيئا بالنسبة لهذا الجيش العرمرم من العاطلين وحملة الشهادات - ومن يسعدهم الحظ بملء القليل منها، فإنها يملئونها بغير عمل يقومون به، بطالة مقنعة على أحسن الفروض.

ولعل مما زاد مشكلة البطالة عندنا تعقيدا، أننا لا نضع اعتبارا كبيرا للمواهب الفطرية والاستعدادات الطبيعية فكل منا يجب أن يكون ابنه طبيبا مثلا أو مهندسا . . . ولو تركنا ذلك للاستعداد الفطري، لكان ذلك أفضل. . . إن الإسلام أمرنا بتعليم الفتاة، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يأخذون نصف علمهم من السيدة عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها، فعلينا في تعليمنا للفتى والفتاة أن نحتكم إلى المواهب، والاستعدادات، لا على أماني الآباء، وأحلام الأمهات، ونجند كلا من الفتى والفتاة للميدان اللائق به، والوظيفة التي تعود على الوطن الإسلامي الكبير بالخير الوفير لا شك أننا في حدود مفاهيمنا الإسلامية، محتاجون إلى أطباء وإلى طبيبات إلى مربين ومربيات إلى غير ذلك، على أن نكون مسترشدين في ذلك بالتوجيه الإسلامي، والأصول الحكيمة التي قامت عليها الحثيفية السمحة فإن عملنا في حدود الشريعة هو الذي يحفظ التوازن، ويمنع من الاختلال والارتجاج. . . مادام طلب

العلم مما افترضه الله تعالى على الجنسين معا، في حدود الموهبة والاستعداد والفضيلة والشرف.

نحن لا نريد أن نقتصر على التعليم المهني وحده. ولا على التعليم الأكاديمي بل نريد أن يسير التعليم بشطريه بطريق لا تترك مجالاً للبطالة ولا إلى تدنى المستوى في المجال الاقتصادي، وعلى مناهجنا التعليمية أن يكون من شأنها اتاحة الفرصة لمن يريد أن يستزيد من التعليم الفنى بعد أن أخذ نصيبه من التعليم النظرى، والعكس بالعكس، وفي الجامعات المفتوحة - إذا اهتمنا بأمرها - مجال لمن يريد أن يستدرك مافاته، ويلحق بالركب في هذا الجانب أو ذاك.

صحيح أننا في إفريقيا، وفي غير إفريقيا، خطونا خطوات مشجعة في ميدان التعليم المهني، ولكن الشوط مازال أمامنا طويلاً، كل الطول.

يجب - فيما يختص بالتعليم الفنى أو المهني - أن نغير من مفاهيمنا الخرقاء التي لا تستند إلى عقل ولا إلى دين؟ إن المكانة الاجتماعية لا تحيىء، أو ينبغى ألا تحيىء عن طريق المنصب الذى يملؤه الشخص، بل ولا عن الشهادة التي يحملها، وإنما تحيىء عن طريق خدمته للمجتمع فالخلق عيال الله. وأحبهم إلى الله. أنفعهم لعياله، كما جاء في الحديث الشريف.

فلكى تسير عملية التعليم المهني بخطى ثابتة ينبغى أن يواكبها الإيمان بها، وبشرفها في حد ذاتها، وفضلها، ألم يكن سيدنا محمد ﷺ راعياً للغنم في بنى سعد؟ أم يكن تاجراً في أموال سيدتنا خديجة رضوان الله عليها؟

وقد كان سيدنا عمر رضى الله عنه يقول: «إنى لأرى الرجل فيعجبني فأسأل أله حرفة، فإن قالوا لا سقط عن عيني».

وعن المقدم بن معد يكرب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده».

وروى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله قال: «كان زكريا عليه السلام نجاراً».

وفي صحيح البخارى عن أبى عبد الله الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى إلى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» قال الحافظ في «الفتح»: خير له من أن يسأل الناس، خير هنا ليست للتفضيل، إذ لا خير في انسؤال مع القدرة على الكسب، بل الأصح حرمة. كما عند الإمام الشافعى رضى الله عنه.

وفي الأثر أن رسول الله ﷺ قبل يد عامل، وقال هذه يد يجيها الله ورسوله . . وذلك لما رأى فيها من آثار العمل المضمنى .
والكلام في هذا المجال لا ينقضى .

يجب إذن أن نقضى على المفاهيم الخاطئة التى مازالت تحد من طموح الشباب، وتقلل من رغبته في العمل في الميدان المهني، مادامت هذه المفاهيم تتحكم في أذهان المجتمع بأكمله . . وهذه العملية تحتاج إلى ثورة عارمة تشترك فيها كل وسائل الإعلام، وتجد فيها كافة الأقلام والأفهام . .

ولن تجدى هذه الثورة قليلا إذا كانت مجرد كلام، لا يجد مصداقيته من العمل .
والعمل يقتضى :

أولا: ألا يستمر التعليم النظرى بكافة قنواته الموجودة الآن وإنما ينبغى أن تحدد هذه القنوات على الأساس الذى يدفع بمشوار التنمية إلى الأمام، دون تكديس البطالة، بوجهيها: السافر والمقنع .

ثانيا: إذا كانت الضغوط السياسية الداخلية تمنع - وكثيرا ما تمنع - من الحد من التعليم النظرى، وترشيده في قنوات تقوم على أساس استثمار الطاقات البشرية، فلا بد من أن تكون هناك قنوات من التعليم الفنى، تواكب التعليم النظرى في شتى مراحلها .
وتتفاعل معه في نفس الوقت، بحيث يستطيع الطالب في المرحلة الثانوية الفنية، أن ينتقل - إذا ساعدته طموحاته واستعداده الطبيعي - إلى ما يقابل ذلك من المرحلة الثانوية النظرية، وهكذا في الجامعة، وبذلك يستطيع التعليم المهني أن يمتص أكثر العاجزين عن الاستمرار من مرحلة إلى مرحلة، وبحيث يستطيع المتخرج الجامعى أن يجد المهنة إذا لم يجد الوظيفة، كما يتساوى معه زميله المهني في «الشهادة» وما يترتب عليها من وضع اجتماعى أو اقتصادى .

إن السياسة التى ينبغى أن يسير عليها نظام التعليم ككل، هى ألا تعتبر الشهادة الفنية الكبرى، نهاية المطاف بالنسبة لحاملها، بل لابد أن نوفر له ما يحقق له طموحه، إذا أراد أن يحصل على شهادة علمية أعلى، أو دبلوما فنيا أرقى، وفي نفس الوقت يدخل حامل الشهادة غير الفنية معترك الحياة، وفي يده مهنة تغنيه عن الوظيفة، أو تكون له بديلا عنها عند اللزوم .

إن التعليم الفنى من ناحية، وغير الفنى من ناحية أخرى، كجناحي الطائر، وإن التحليق في آفاق التنمية لا يتم إلا بهما معا . . يقول الأستاذ محمد مصدق في كتابه «التعليم والتنمية الاقتصادية»: لقد دلت تجربة التطور الاقتصادى في العالم بكل وضوح على أن الكوادر المؤهلة، ومعارفها المهنية والعلمية والتكنيكية بصفة خاصة، والخبرة الانتاجية والإدارية، تكوّن عنصرا من أهم عناصر الإنتاج، التى كثيرا ما تحدد سير وآفاق

عملية التنمية» .

وحتى لو نجحنا فى هذه الخطوة، مائة فى المائة، فإننا - كمسلمين لا نعدو أن نكون نوعا من الأناسى، يعيشون فى حديقة من حدائق الحيوان .

إن المسلم لا يتوقع فى المادة، وإنما له آفاق أخرى، أرحب وأوسع وأهم وأقدس من الأفق «البهيمى الضيق» .

ونحن المسلمين، فى إفريقيا، وفى غير إفريقيا، تواجهنا تحديات يجب أن يتصدى لها التعليم .

إن الاستعمار فى أثوابه الحربائية المتلونة، ومن ورائه أعداء الإسلام فى شتى أشكالهم لن يبدأ لهم بال، ولن يقر لهم قرار إلا إذا سلخونا من ذاتيتنا ومن هويتنا، وجعلوا منا مسخا مذبذبا بين ذلك، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، ليصفو لهم الجو ويتيسر لهم السبيل إلى نهب خيراتنا وسلب ثرواتنا .

إن أى منهج تعليمى لا يتصدى لهذه التحديات فإنه يأخذ بالشمال ما يعطى باليمين، مهما بلغت درجته من النجاح فى حد ذاته .

إذا لم يكن من صلاحياتنا، أو استطاعتنا، أن نفرض منهجا تعليميا بعينه، فليس معنى هذا أن نقف موقف المتفرج، مكتوفى الأيدي، يجب أن نعقد الندوات العلمية، ونستخدم وسائل الإعلام بكافة أنواعها لتكون تريباقا للسموم التى قد تنفثها - ولو بحسن نية - بعض مناهجنا التعليمية ولكى تملأ الثغرات والفجوات التى تنفذ إلينا منها هذه السموم، أيا كان مصدرها، وما أكثر مصادرها .

وقبل ذلك، وبعد ذلك، يجب علينا أن نعد «الداعية» الصالح فى إحدى يديه السلاح الذى يدخل به معركة الغزو الفكرى وفى اليد الأخرى المهنة، التى تكفل له العيش فى الحياة، وتغنيه عن سؤال الناس، أعطوه أو منعوه .

تخرج جامعاتنا ومعاهدنا الإسلامية جيوشا جراحة من الدعاة، ليس فى مقدور المساجد، ودور الدعوة أن تستوعبهم جميعا . . فأين يذهبون؟ أيتكفرونهم وأمثالهم عالة على الناس، وعلى الدولة التى أثقلت كاهلها الأعباء والمشاكل، والديون؟

«التعليم» بمفهومه العام، دينيا كان أم مدنيا، ينبغى أن يكفل للطالب المهنة التى يقتات منها، إن لم تُجدِّ الوظيفة التى يعيش عليها . . بعد أن يربى فيه الملكات الفعالة التى تجعله صالحا فى مجتمعه نافعا، ولو بطريق غير مباشر لأتمته .

وعلى رأس القضايا المصرية التى ينبغى أن يتصدى لها التعليم بشتى جوانبه، فى إفريقيا، ذلك الغزو الصليبي الذى يهدد معتقداتنا ومقدساتنا وروابطنا للخطر، ينقل الأستاذ سيد أحمد يحيى فى كتابه «التنصير فى القرن الإفريقى» ينقل عن عدة مصادر

مافحواه «وإذا كان المبشرون لم ينجحوا في تنصير المسلمين فإنهم قد نجحوا بلا شك في إقصائهم عن دينهم بما فرضوه عليهم من نظام تجهيل مطبق، وإبعاد عن المبادئ الإسلامية، حتى جعلوا كثيرا منهم يجهلون دينهم، وحتى صار فريق منهم يجهل أنه مسلم، وهو يمارس الأحكام الإسلامية أو بعضها، وقد غادر المستعمرون البلاد بأجسامهم بعد أن طبعوها بأفكارهم ومبادئهم» (٦) وقد أشار إلى ذلك «ستيفن نيل» في كتابه «تاريخ الإرساليات التبشيرية» حيث قال: «إن تأثير التبشير في الإسلام وأهله هو أهم بكثير من عدد المسلمين القليل الذين تركوا الإسلام ودخلوا إلى النصرانية» (٧) وقد سئل رئيس مدرسة تبشيرية في فلسطين كم نصرت من أبناء المسلمين؟ فأجاب: لا تسألوني كم مسلما نصرته ولكن كم معولا صنعتته من أبناء المسلمين لهدم الإسلام نفسه (٨).

وهذه حقائق مذهلة مرعبة، تدق أجراس الخطر عالية وتطلق صفارات الإنذار متوالية، بل إن أول من أطلق هذه الصفارات ودق هذه الأجراس، مستبشرا، مسرورا، هو المستشرق الانجليزي «جب» حيث قال بعد مقدمات طويلة: «باستطاعتنا أن نستنبط أن الجزء الأكبر من العالم الإسلامي سيكون بعد قليل من الزمان، قد أخذ بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها..» (٩) قال هذا في أوائل هذا القرن العشرين.. وهذا ماتعمقه العلمانية، وما يريده لنا منها الغرب.

لا يعني هذا أننا كنا كالمترجم، مكتوفي الأيدي بل إن هذا تم رغم أننا لم نقف موقف المترجم، رغم أننا عملنا الكثير، ولكن أين كثيرنا من كثيرهم؟ بل أين كثيرنا من قليلهم. خذ الجانب التعليمي وحده، لندع المستشفيات، وأثارها. وملاجئ الأيتام وأضرارها، وسياسة التهجير والتبني وأخطارها، دع كل ذلك وغير ذلك، رغم أنه يرتبط بالتعليم بطريق غير مباشر، ولننظر الجانب التعليمي الصرف.

هل يدري المستمعون الكرام كم تستخدم الصليبية من المنصرين في إفريقيا؟ أكثر من مائة وأربعة آلاف منصر، وهؤلاء من طائفة «البروتستانت» وحدها؟ ترى كم أعددنا من الدعاة إزاء هذا العدد الضخم وحتى لو تركنا «الكم» على أهميته، فماذا ياترى يكون الفرق في «الكيف»..

والمعاهد الكنسية في إفريقيا، كم عددها بالنسبة لمعاهد «الدعوة»؟ عدد المعاهد الكنسية يقرب من عشرين ألف معهد من مختلف مراحل التعليم.

ترى كم معهدا من هذا النوع أعددنا وإلى أي المستويات وصلنا؟ المدارس اللاهوتية، ووظيفتها، كما هو معروف، تدريب الملتحقين بها من الوطنيين على ممارسة النشاط التنصيري، وتخرجهم ليكونوا معاول هدم، أو مخالب قط، نيابة عن المنصرين الأصليين «الأجانب».. هل يدري المستمعون الكرام كم مدرسة لاهوتية من

هذا النوع منبثة كالسرطان الخبيث في حنايا الوطن الإفريقي؟ كانت إلى عهد ليس بالبعيد كما تدل عليه الإحصاءات خمسمائة مدرسة . . نصف ألف . . ولا شك أن عددها الآن ارتفع . . ولا يزال في الارتفاع .

هذا فضلا عن أعمال «السطو» هل يدرى السادة المستمعون أن ثريا من أثرياء بلجيكا استطاع أن يرجع إلى بلده وفي «حقيته» ثلاثون ألف طفل من أطفال الصومال المسلمين اللاجئين . . ثلاثون ألف لا تفكروا في ضخامة العدد لكن فكروا في الذين سينصرون على أيديهم من أبناء المسلمين . بعد أن يعودوا من بلجيكا، وقد تمسوا وتحنكوا وتدرّبوا في عمليات التنصير على أعلى المستويات .

مشكلتنا الحقيقية أننا لا نلتفت إلى مستصغر «الشر» إلا إذا تطور إلى حريق يقضى على الأخضر واليابس معا . ثم يستعصى على كل عمليات الإطفاء . . وهؤلاء يبدءون من نقطة الصفر من مستصغر الشر، مغتبطين بما لا يرى من المكاسب، يسحبون البساط، من تحت أقدامنا . بما لا نحس به، يوما بعد يوم، حتى ولو أدى بهم الأمر إلى شهر بعد شهر، أو سنة بعد سنة لثقتهم بالنصر في آخر الأمر ولو طال الزمن، ونحن لا أقول، في غفلة لكننا لا يهمننا من مستصغر الشرر إلا النار، التي . حتى ولو قدرنا على إطفائها آخر الأمر . تكون قد أتت على كل شيء قبل أن نأتي نحن على آخر شرارة منها .

أخشى ما أخشاه . أن تفلت من أيدينا إفريقيا كلها، فلا تبقى فيها مثذنة، ولا يعمر فيها مسجد، ولا ترفرف فوق سواواتها للإسلام راية . . بالضبط كما حدث لنا في الأندلس، الفردوس المفقود . . لماذا أذهب إلى الماضي البعيد، وهاهي فلسطين . أولى القبلتين، آلا نرى كيف انتزعها اليهود منا بالعمل الدائب والحفى وسحبوها من تحت أقدامنا، ونحن نعتقد أنهم لا يستطيعون أن يقهرونا فيها، ويغلبونا عليها، فأصبحوا هم الذين يصلون ويجولون ويعربدون ذات اليمين وذات الشمال، كيفما شاءوا بعد أن كانوا يطلبون الحماية منا، فإذا بنا نحن نطلب حماية العالم الحر الضمير، منهم «ألم ترى الذين بدلوا نعمة الله كفرا، وأحلوا قومهم دار البوار» (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وأحب أن أحيى من هذا المنبر الشعب الفلسطيني المجاهد الذى أصبح يقابل المدافع بالحجارة، ويقدم دمه الزكى، وروحه الطاهرة دفاعا عن حقه المغتصب ووطنه السليب، وأرضه الطاهرة التى دنستها أقدام الصهاينة، «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز» . .

إن الأرضية الثابتة التى وضع التنصير عليها قدمه في إفريقيا تحتم علينا أن نراجع حساباتنا في مجال التعليم بوجه عام، ومجال الدعوة بوجه أخص .

إن للاستعمار في أى وجه من وجوهه الكلاخة يعلم تمام العلم أنه لا مكان له مع الإسلام، فالإسلام وحده هو الذى يقف عقبة كاداء في طريق تنفيذ مخططاته الغاشمة

لنهب خيراتنا، وسلب ثرواتنا، ولذلك فهو يركز كل جهوده ويحشد كل طاقاته للقضاء على الحنيفة السمحة، مستعينا بصنيعته الصليبية، والصهيونية، بل حتى بعدوته الشيوعية إن دعا الحال. . . يقول «لوريس براون»: لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة، ولكن بعد الاختبار، لم نجد ما يبرر هذا الخوف: كنا نخوف بالخطر اليهودي، والخطر الشيوعي، والخطر الأصغر مع أن الخطر الحقيقي يكمن في الإسلام (١٠) ولا غرو إذن. ولا عجب ان يؤكد المستشرق «ولفر كانتول سمث» في كتابه In Modern History «إن الغرب يوجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لحرب الإسلام، وإنه خلق إسرائيل في قلب العالم الإسلامي كجزء من هذا المخطط المرسوم» (١١).

إن هذه الجهود الضخمة التي يبذلها الغرب، وهذه الإمكانيات اللامحدودة التي يعتمد عليها، في القضاء على الإسلام في إفريقيا وفي كل مكان، تقتضى أن تقابل منا بما يكافئها، لإيقافها عند حدها، إن لم نقل لدحرها وردّها.

هذا ما يقول به المنطق، وما تدعو إليه الحاجة الملحة، ولكن الله تعالى خفف علينا هذه المهمة. ذلك أن منطق الإسلام في هذه الناحية مختلف فقد جعل الله تعالى في الإسلام نفسه قوة ذاتية لا تقاوم إذا وجدت من يستخدمها حق استخدامها، يقول الله تبارك وتعالى «الآن خفف الله عنكم، وعلم أن فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين، بإذن الله، والله مع الصابرين» (الانفال ٦٦) - لا تقل إن هذا محصور في ميادين الضراب والطعان، لا، وإنما يدخل أيضا في ميادين الحجج والبرهان، «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» (النساء ١٤١) فسر «السبيل» هنا، غير واحد، بالحجة.

والحجة لا تكون إلا بالعلم. . .

والعلم في الإسلام - لشموله - كالروح بالنسبة للجسد، فلا يحيا جسد بلا روح، ولا تبقى روح بغير جسد، وجسد العلم إنما هو هذه التقنيات، هذه الصناعات، هذه المنشآت، خذ اليابان التي كان في الإمكان أن نسبقها فتخلفنا عنها بمراحل «فما زال التعليم المهني مقدما على النظرى في اليابان، ونقطة القوة الأساسية في النظام التربوى اليابانى ليست هى جامعاته، وإنما هى معاهده التقنية المتوسطة التى تمثل عموده الفقرى» (١٢) وليس معنى هذا أنهم أغفلوا النخبة «فقد استطاعت اليابان أن تجمع بين شعبية التعليم وارشتراطيته العلمية الفكرية، بمعنى أن التعليم اتيح للجميع فى قاعدة الهرم التربوى لتزويد الأمة باليد العاملة المتعلمة، لكنه اقتصر فى مستوى القمة على القلة الممتازة عقليا، والمتفوقة فى مواهبها، لتخرج النخبة القيادية الكفأة، والقادرة على مواجهة التحديات. . . بهذا تمت الموازنة بين تعليم العامة، وإعداد النخبة» (١٣).

ولو سرنا نحن على هذا النهج منذ البداية ماسبقنا أحد .

إن الحقيقة التي نعلمها جميعا، ويتجاهلها أكثرنا . هي أن «أسلمة» التعليم، هي المفتاح الوحيد لحل كافة مشاكلنا لا في إفريقيا وحدها، ولكن في كافة أنحاء المعمورة، وبما أن التعليم هو أساس كل شيء، ويدخل في كل شيء فإن أسلمة التعليم إنما تعنى أسلمة جميع جوانب الحياة .

إن أسلمة التعليم تعنى أولا أسلمة جميع مفاهيمنا . حتى يسير التعليم المهني جنبا إلى جنب مع التعليم الأكاديمي أو النظري، فنعد أبناءنا، ونرشدهم، إلى نوع التعليم الذي يتناسب مع مواهبهم واستعداداتهم الفطرية، لا الذي يتناسب مع أوهامنا، ونظراتنا الخيالية . .

قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل

ولا يحسن إنسان أمرا لم يعده الله له . ولم يؤهله للإحسان والإتقان فيه . . إن هذا هو عين الحكمة «ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا» إذ ليست الحكمة إلا وضع الأمور في مواضعها المناسبة للمهياة لها .

إن أسلمة التعليم تعنى ثانيا أسلمة «البيت» حتى يتعاون مع المدرسة، فإن تربية الأبناء تظل عرجاء إذا سارت على ساق واحدة .

إن أسلمة التعليم تعنى ثالثا أسلمة المجتمع، الذي يكون مجموع الأسر أو «البيوت» وهذا يقع على عاتق الأمة . . صحيح أن أهم وسائل التعليم كالإذاعة والتلفاز تتحكم فيها الأجهزة الحكومية، التي يهتم كثير منها بالسياسة، والترفيه والتوعية الموجهة، أكثر مما تهتم بالتوعية الإسلامية بوجه خاص، وهنا تنتقل المسئولية إلى «الدعاة» فالتدوات والمساجد والمناسبات الدينية، بل الوطنية المختلفة، كلها قنوات هامة لتوعية الشعب التوعية الإسلامية الصالحة، كما أنها قنوات هامة وصالحة لإكمال النقض في مناهجنا التعليمية الذي قد يكون خطيرا في بعض الأحيان من هذه الناحية .

إن أسلمة التعليم تعنى رابعا، بل وأولا وأخرا، أسلمة المناهج ولا تعنى أسلمة المناهج إحلال العلوم الدينية محل العلوم التي تسمى مدنية، لا، وإنما تعنى أن تدرس هذه العلوم المدنية في الإطار الإسلامي، دون أن ينقص منها شيء، ولتخدم الفكرة الإسلامية، ولتربي الروح الإسلامية، دون أن يضاف إليها شيء، إن درسا واحدا في التاريخ مثلا يمكن أن يدرس بحيث يلهب النعرات القومية الضيقة، أو يمهّد الطريق للالحاد أو للعقيدة الصحيحة، ليست العبرة في المناهج بالحقائق التي تدرس، وإنما العبرة بالإطار التي تدرس فيه الحقائق، وبالروح التي تمل بها هذه الحقائق، وبالصياغة التي

تصاغ بها هذه الحقائق لتكون القالب الذى يصب فيه ، أو الطابع الذى يطبع به الأستاذ
نفسية تلميذه ، وتطلعاته وطموحاته ومفاهيمه .

هذا كله يقودنا الى أسلمة التربية ، وإلى إعداد «المربى» المسلم وهما الركيزتان اللتان
ترتكز عليهما أسلمة جميع جوانب الحياة .

ليت أولى الأمر منا يوفرون «المربى» من حيث هو، ولا يقتصرون على مجرد «المدرس» .
وهنا تتميز وتبرز ملامح المهمة الملقاة على معاهدنا الإسلامية ، فإن عليها أن تسد
النقص فتخرج الداعية أو بالأحرى «المربى المسلم» الذى يعرف مكائد الصليبية ،
ومصائد الصهيونية وتشكلات وتشكيلات الاستعمار، الداعية المنفتح بقلبه إلى الله .
ويعقله إلى العالم ، الداعية الذى يربط بين المسجد والحياة ، ويعمل لدنياه كأنه يعيش
أبداً ، ولآخرته كأنه يموت غداً ، الداعية الذى له من حرفته مايكفيه لدنياه ومن علمه
مايكفيه لتبليغ رسالته . الداعية الذى يكون «القدوة المثل» أو كما وصف الله تعالى حبيبه
محمداً ﷺ «السراج المنير» الذى ينير جوانب النفس ، وجوانب الروح ، وجوانب القلب قبل
ويعد أن ينير جوانب العقل .

طبعاً هذه عمليات لا تكون إلا عن طريق المال .

والحمد لله العالم الإسلامى ككل فيه ثروات متكاملة ، لا محدودة ولا أشك أن العالم
الإسلامى قدم لإفريقيا وما يزال ، وحتى لو فرضنا أن ماقدم كان كثيراً ، فإنه قليل بالنسبة
للتحديات العنيدة ، المزودة بكافة الوسائل ، فعلى العالم الإسلامى ، وأعنى المقتدر منه أن
يقدم لإفريقيا وغير إفريقيا ما يساعدها على تنمية ثرواتها عن طريق العلم ، والحفاظ على
مقدساتها عن طريق العلم ، والوقوف بصلاية أمام هذا الثالث المنحوس : الصليبية ،
والصهيونية ، والاستعمار فى ثوبه البراق الخداع الحديث . بل على العالم الإسلامى
بأكمله أن يتعاون فى ذلك ، التعاون الوثيق ، «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» «لينفق ذو
سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله» وواجب الهيئات الدينية وكافة
الجهات الحادبة على الإسلام ، أن تدق أجراس الخطر ، وتذكر الحكومات وتلهب مشاعر
الشعوب عن طريق الإعلام ، عن طريق الدعاية ، عن طريق الندوات ، عن أى طريق
مشروع .

إن الشعوب الإسلامية قد تتهاون وقد تتوانى فى إى أمر مهم . لكنها إذا شعرت بأن
الإسلام فى خطر ، هبت هبة رجل واحد مضحية بكل غال ونفيس ، حتى النفس والبنين
«خذ مثالا من تركيا» هكذا يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى عليه الرحمة : «خذ مثالا من
تركيا لما غزا اليونان آسيا الوسطى بعد الحرب العالمية الأولى هب مصطفى كمال يقحم
نفسه فى الجيوش التركية وفى يده مصحف ، وناشدهم بحماس دافق أيها الأتراك هل

تعلمون ما هذا الكتاب الذى بيدى، فيجيونه أنه المصحف الشريف، فيقول لهم إنكم إذا لم تخرجوا معى للحرب مع اليونان فلن يكون لهذا الكتاب بقاء فى الأرض .
فخرج المسلمون واضعين رؤوسهم على أكفهم وطرّدوا اليونان من أرضهم رغم ماكانوا عليه من قلة العتاد الحربى ، ونقص الإمكانيات المادية وكان اليونان يساندتهم الحلفاء» (١٤) والأمثلة كثيرة .

هكذا تفعل العقيدة الأفاعيل . هكذا تفعل هذه الجذوة التى لا تحبو فى نفوس المسلمين، حتى من كان منهم من العصاة، فإذا كان المسلمون يهودون بنفوسهم إذا أهدق خطر بالإسلام أفلا يهودون، بل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، بالمال .

إِنَّ مَنْ جَادَ بِالنَّفُوسِ اخْتِيَارًا أَنْفَقَ الدَّرَّ طَائِعًا وَالنِّضَارًا

فعلينا أن نضرب على هذا الوتر الحساس من نفوس المسلمين لتتعاون على صد قوى الشر من إفريقيا ومن غير إفريقيا، «إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» .
إلا تفعلوه تنسحب إفريقيا ومثيلائها . من تحت أقدامنا كما انسحبت، أو كادت فلسطين، وكما انسحبت قبلها الأندلس، الفردوس المفقود . .

لكن والحمد لله أصبحت اليوم تدق طبول البشائر بعودة فلسطين، وبدأت ترفرف أعلام الإسلام فى الأندلس، وبشائر النصر بدت تلوح للمجاهدين فى أفغانستان .
وأملنا فى الله عظيم أن يدحر قوى الشر والبغى والنهب والسلب، فى إفريقيا حتى تظلمها من أولها إلى آخرها راية الإسلام خفاقة عالية، ويجتمع شمل المسلمين فى كافة أنحاء المعمورة تحت لا إله إلا الله محمد رسول الله «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا» . . «وما جعله الله إلا بشرى لكم، ولتطمئن قلوبكم به، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم» .

الإحالات

- (١) الوعي التربوي للمعلم والعوامل المؤثرة فيه - مقال للدكتور محمد صديق حمادة، نشر بمجلة رسالة الخليج العربي - العدد ٢١ سنة ١٤٠٧ (٢) و (٣) المصدر السابق.
- (٤) جذور التربية السياسية وخصائصها - مقال للدكتور محمد الأنصاري - نشر بالمجلة المذكورة آنفاً.
- (٥) اختيار المدرسين «مترجم» - مجلة مستقبل التربية العدد ٣ سنة ١٩٨٠ ص ٨٦.
- (٦) التنصير في القرن الإفريقي للأستاذ سيد أحمد يحيى ص ٨٦ «دار العمير للثقافة والنشر».
- (٧) تاريخ الإرساليات التبشيرية، لمؤلفه «ستيفن نيل» ص ٤٨٧.
- (٨) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، للشيخ محمد الغزالي ص ١٦٧
- (٩) الخطر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي الدكتور محمد البهي
- (١٠) الله أو الدمار لدولة سعد جمعة صفحة ١١١ «دار الكاتب العربي».
- (١١) المصدر السابق ص ٩٧
- (١٢) جذور التربية اليابانية وخصائصها للدكتور محمد جابر الأنصاري - مقالة نشرت بمجلة رسالة الخليج العدد الحادي والعشرون ١٤٠٧ هـ.
- (١٣) المصدر السابق.
- (١٤) الإسلام اليوم، للأستاذ المودودي صفحة ٤٤/٤٥ «الدار السعودية للنشر والتوزيع».